

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[440] يريد العاجلة ...) هو خطاب لأُولئك الذين يستهدفون هذه الحياة العادية الزائلة، ويقفون عندها. وعادةً فإن استخدام تعابير "المزرعة" أو "المتجر" وما شاكلهما في تشبيه الحياة الدنيا ووصفها، يعتبر دليلاً حياً على هذا الموضوع. وخلاصة القول: إِنْ زَهَتْ إِذَا تَمَتَّ الإِسْتِفَادَةُ مِنْ مَوَاهِبِ الدُّنْيَا وَعَطَايَاهَا الَّتِي تُعْتَبَرُ مِنَ النِّعَمِ الإِلَهِيَّةِ؛ وَيُعْتَبَرُ وُجُودُهَا ضَرْوَرِيًّا فِي نِظَامِ الْخَلْقِ وَالْوُجُودِ، وَتَمَّتِ الإِسْتِفَادَةُ فِي سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ الْآخِرِيَّةِ وَتَكَامُلِهِ الْمَعْنَوِيِّ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُعْتَبَرُ أَمْرًا جَيِّدًا، وَتَمْتَدُّ مَعَهُ الدُّنْيَا. أَمَّا إِذَا اعْتَبَرْنَا هَدَفًا لَا وَسِيلَةَ، وَأَبْعَدْنَاهَا عَنِ الْقِيَمِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، عَنْدهَا سَيُصَافُ الْإِنْسَانُ بِالْغُرُورِ وَالْغَفْلَةِ وَالطَّغْيَانِ وَالْبَغْيِ وَالظُّلْمِ. وَمَا أَجْمَلَ وَصْفَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِلدُّنْيَا حِينَ يَقُولُ: "مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ" (1). وَفِي أَنْ الْفَرْقَ بَيْنَ الدُّنْيَا الْمَذْمُومَةِ وَالِدُّنْيَا الْمَمْدُوحَةِ، هُوَ نَفْسُ الْفَرْقِ الَّذِي نَسْتَفِيدُ مِنْهُ، بَيْنَ "إِلَيْهَا" وَ"بِهَا"، إِذْ تَعْنِي الْأُولَى أَنْ الدُّنْيَا هَدَفٌ، بَيْنَمَا تَعْنِي الثَّانِي أَنَّهَا مَجْرَدُ وَسِيلَةٍ! ثَانِيًا: دَوْرُ السَّعْيِ فِي تَحْقِيقِ الْمَكَاسِبِ: هَذِهِ لَيْسَتْ الْمَرْبَّةُ الْأُولَى الَّتِي يَشِيدُ فِيهَا الْقُرْآنُ بِالسَّعْيِ وَالْجُهِدِ وَدَوْرِهِمَا فِي تَحْقِيقِ الْمَكَاسِبِ، وَبَعْكَسُهُ يُحْذَرُ الْأَشْخَاصَ الْعَاطِلِينَ وَالْكُسَالَى بِأَنَّ السَّعَادَةَ الْآخِرِيَّةَ لَا يُمْكِنُ ضَمَانُهَا بِالْكَلامِ الْمَجْرَدِ، وَالتَّظَاهِرُ بِالْإِيْمَانِ، بَلِ الطَّرِيقُ يَتِمُّثَلُ بِالسَّعْيِ وَبَذْلِ الْجُهِودِ. وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ وَاضِحٌ مُفَادُهَا فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ. ففِي سُورَةِ _____ 1 - يَرَاجِعْ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ، الْخُطْبَةُ رَقْمَ (82).